التَّارِيخُ: 30.05.2025

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى اَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ اَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يٰسٓ.

سُورَةُ يٰسٓ: قَلْبُ القُرْآنِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

مِنَ السُّوَرِ الَّتِى يَتَضَمَّنُهَا كِتَابُنَا العَظِيمُ، القُرْآنُ الكَرِيمُ، سُورَةُ يٰسٓ. فَسُورَةُ يٰسٓ تُخَاطِبُ عَقْلَ الإِنْسَانِ وَوِجْدَانَهُ، وَتُذَكِّرُهُ بِأَنَّ الكَوْنَ قَدْ خُلِقَ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ التَّوَازُنِ وَالإِنْسِجَامِ. إِنَّهَا سُورَةٌ تُضْفِى مَعْنًى عَلَى الْحَيَاةِ، وَتُحْيِى القُلُوبَ، وَتُعَلِّمُ الحَقَّ وَالحَقِيقَةَ. وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهَا رَسُولُنَا الحَبِيبُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِقَوْلِهِ:**"إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ القُرْآنِ يٰسٓ"**[1]، مُشِيرًا إِلَى مَكَانَتِهَا العَظِيمَةِ. وَقَدْ دَأَبَ شَعْبُنَا الأَصِيلُ، الَّذِى تَشَكَّلَ وَعْيُهُ بِالإِيمَانِ وَالحِكْمَةِ، عَلَى تِلَاوَةِ سُورَةِ يٰسٓ فِى مُخْتَلَفِ مُنَاسَبَاتِ الحَيَاةِ، مِنَ الوِلَادَةِ إِلَى الوَفَاةِ، فِى أَوْقَاتِ الفَرَحِ وَالحُزْنِ، فِى الصِّحَّةِ وَالمَرَضِ. غَيْرَ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ قِرَاءَةِ هٰذِهِ السُّورَةِ لَيْسَ مُجَرَّدَ تِلَاوَتِهَا فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ التَّأَمُّلُ فِى مَعَانِيهَا، وَالعَمَلُ بِرَسَائِلِهَا فِى حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّةِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

تَبْدَأُ سُورَةُ يٰسٓ، الَّتِى تُعَدُّ قَلْبَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، بِالْقَسَمِ بِهَذَا الكِتَابِ العَظِيمِ الَّذِى أُنْزِلَ هُدًى لِلنَّاسِ، لِتُنَبِّهَنَا إِلَى أَنَّ السَّعَادَةَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَالاهْتِدَاءِ بِنُورِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِى سُورَةِ يس:**"وَأَنِ اعْبُدُونِى هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ"**[2] بِهَذَا النِّدَاءِ الرَّبَّانِيِّ، يَدْعُونَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَالسَّيْرِ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِقَامَةِ الَّذِى هُوَ سَبِيلُ النَّجَاةِ. إِنَّ الاسْتِقَامَةَ هِىَ طَرِيقُ الإِسْلَامِ القَوِيمِ، تَبْدَأُ بِالتَّوْحِيدِ، وَتُقَوَّى بِالعِبَادَةِ، وَتَكْتَمِلُ بِالأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ. فَالْمُؤْمِنُ السَّائِرُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ، يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَتَحَلَّى بِالإِخْلَاصِ فِى كُلِّ أَعْمَالِهِ، وَبِالصِّدْقِ فِى كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ، وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّظَاهُرِ لِلنَّاسِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِى مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ السُّورَةِ:**"إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"**[3] فِى هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ، يُخْبِرُنَا رَبُّ العَالَمِينَ أَنَّ النَّبِىَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ رَسُولٌ كَرِيمٌ، مُرْسَلٌ عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَالاسْتِقَامَةِ، يَدْعُو البَشَرِيَّةَ إِلَى السَّعَادَةِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هُوَ هَادِى البَشَرِيَّةِ إِلَى الخَيْرِ، يُبَيِّنُ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، وَالصَّوَابَ مِنَ الخَطَأِ، وَالحَلَالَ مِنَ الحَرَامِ. إِنَّهُ ﷺ رَسُولُ الرَّحْمَةِ، الَّذِى عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسْعِدُ اليَتِيمَ وَالمِسْكِينَ، وَنُحْسِنُ إِلَى الجَارِ، وَنَتَحَلَّى بِالعَفْوِ وَالتَّسَامُحِ فِى تَعَامُلِنَا مَعَ الآخَرِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

سُورَةُ يٰسٓ تُجِيبُ عَلَى سُؤَالِ المُنْكِرِينَ: **" قَالَ مَنْ يُحْيِى العِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ"**، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **"قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ"**[4].

وَقَدْ أَوْصَى نَبِيُّنَا الحَبِيبُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ يٰسٓ عَلَى مَوْتَى المُؤْمِنِينَ.[5] وَتُعَلِّمُنَا هَذِهِ الوَصِيَّةُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا الاسْتِعْدَادُ لِلْآخِرَةِ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ، وَسَنُحَاسَبُ عَلَى كُلِّ مَا نَقُولُهُ وَنَفْعَلُهُ. وَفِى هَذَا السِّيَاقِ، تُحَذِّرُنَا سُورَةُ يٰسٓ بِقَوْلِهَا: **"اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ."**[6] فَالْمُسْلِمُ الَّذِى يُدْرِكُ هَذِهِ الحَقِيقَةَ لَا يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الغَايَةِ الَّتِى خُلِقَ مِنْ أَجْلِهَا، وَهِىَ فِعْلُ الخَيْرِ، وَالعِبَادَةُ، وَالتَّحَلِّى بِالأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ. كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَقْتَرِفَ السَّيِّئَاتِ، وَلَا يَعِيشُ كَأَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا آخِرَةَ وَلَا حِسَابَ وَلَا سُؤَالَ. يَنْبَغِى أَنْ يُؤَدِّىَ وَاجِبَاتِهِ تُجَاهَ رَبِّهِ، وَنَفْسِهِ، وَأُسْرَتِهِ، وَمُجْتَمَعِهِ، وَبِيئَتِهِ. وَرَغْمَ كُلِّ الصُّعُوبَاتِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا إِلَى جَانِبِ المَظْلُومِينَ وَالمُضْطَهَدِينَ، وَفِى مُقَدِّمَتِهِمْ إِخْوَتُنَا فِى غَزَّةَ، الَّذِينَ يَخُوضُونَ نِضَالًا بُطُولِيًّا ضِدَّ الصَّهَايِنَةِ الظَّالِمِينَ وَأَعْوَانِهِمْ دِفَاعًا عَنْ وَطَنِهِمْ وَمُقَدَّسَاتِهِمْ. كَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُكَافِحَ هَؤُلَاءِ المُجْرِمِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَرِفُونَ بِأَىِّ مَبْدَإٍ إِنْسَانِىٍّ أَوْ أَخْلَاقِىٍّ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ مَادِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلُ!

سُورَةُ " يٰسٓ" تُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ قَائِلَةً: **"إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ"**.[7] **"سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ"**[8] يُقَالُ لَهُمْ. وَتُحَذِّرُ العُصَاةَ الَّذِينَ اسْتَسْلَمُوا لِلشَّيْطَانِ، قَائِلَةً: **"هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ" "اِصْلَوْهَا اليَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ"**.[9]

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

نَحنُ فى شَهرِ ذِى الحِجَّةِ. فَلنَعتَبِرْ هذِهِ الأَيَّامَ المُبَارَكَةَ فُرصَةً لِزِيادَةِ عِبَادَاتِنَا، وَمُرَاجَعَةِ أَخطَائِنَا، وَالتَّوبَةِ مِن ذُنُوبِنَا. لِنَجعَلْهَا سَبَبًا فِى مُحَاسَبَةِ أَنفُسِنَا قَبلَ يَومِ الحِسَابِ.

أُنهِى خُطبَتِى بِأَخِرِ آيَةٍ مِن سُورَةِ يٰسٓ:**"فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"**[10].

---

[1] التِّرْمِذِىُّ، كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، 7.

[2] سُورَةُ يٰسٓ ، 61/36.

[3] سُورَةُ يٰسٓ، 36/ 3، 4.

[4] سُورَةُ يٰسٓ، 36/ 78، 79.

[5] أَبُو دَاوُد، كِتَابِ الْجَنَائِزِ، 19، 20.

[6] سُورَةُ يٰسٓ ، 65/36.

[7] سُورَةُ يٰسٓ ، 55/36.

[8] سُورَةُ يٰسٓ ، 58/36.

[9] سُورَةُ يٰسٓ، 36/ 63، 64.

[10] سُورَةُ يٰسٓ ، 83/36.